الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ

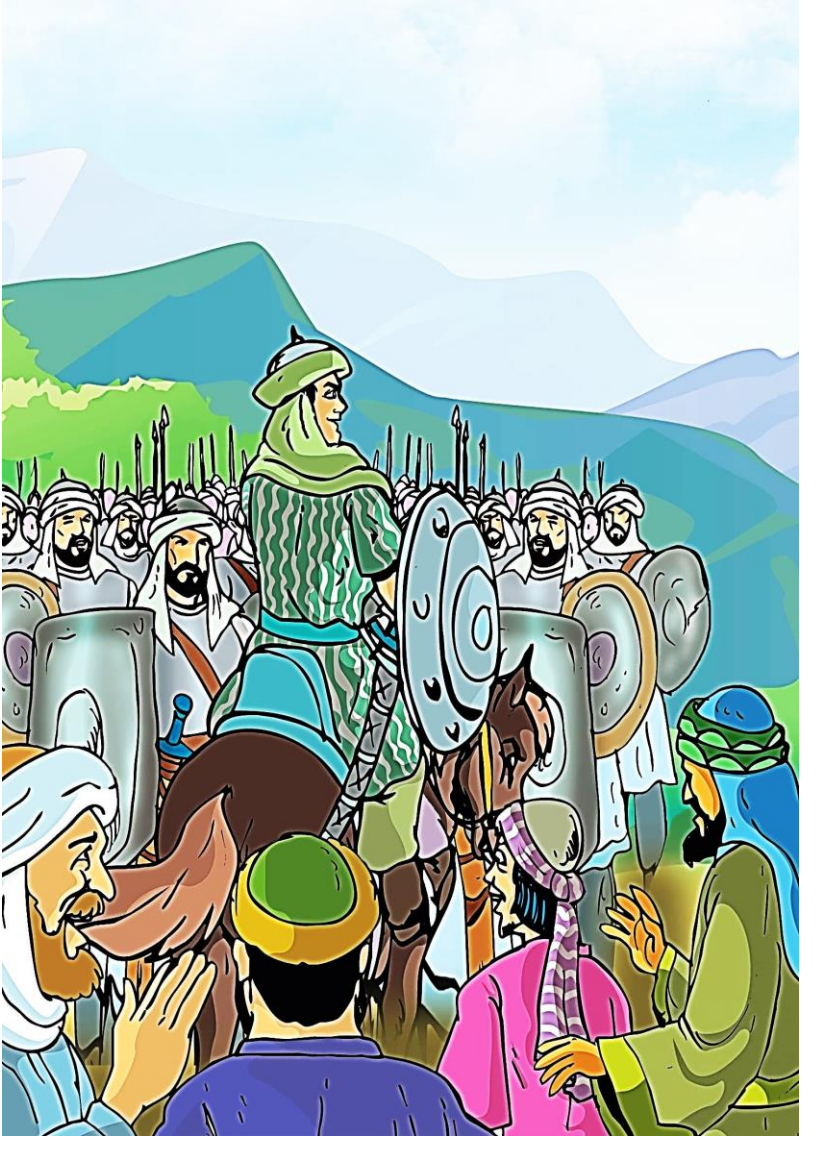

الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ، مِنْ أوَائِلِ المُسْلِمِينَ، وأحَدُ العَشْرَةِ المُبَشَّرِينِ بالجَنَّةِ، وأحَدُ السِّتَّةِ أصْحَابِ الشُّورَى، ومِنَ الَّذِينَ رَضِيَ عَنْهُمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. أسْلَمَ الزُّبَيْرُ فِي سِنٍّ صَغِيرَةٍ، عَلَى يَدِ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعِنْدَمَا عَلِمَ عَمُّهُ بأَمْرِ إسْلَامِهِ، غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، ورَاحَ يُعَذِّبُهُ برَغْمِ صِغَرِ سِنِّه، حَتَّى أنَّهُ كَانَ يَلِفُّ الزُّبَيْرَ فِي حَصِيرٍ، ويُدَخِّنَ عَلَيْهِ بالنَّارِ، يُرِيدُ أنْ يَخْنُقَهُ بالدُّخَانِ، إنْ لَمْ يَرْجِعَ عَنْ إسْلَامِهِ. ولَكِنَّ مَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ، مِنَ الصَّعْبِ أنْ يَعُوَد للْكُفْرِ مَرَةً أُخْرَى، وتَحَمَّلَ صُنُوفَ العَذَابِ مِنْ قَوْمِهِ.

نَالَ الزُّبَيْرُ أجْرَ الهِجْرَتَيْنِ إلَى الحَبَشَةِ، ثُمَّ عَادَ إلَى قُرَيْشٍ مَرَّةً أُخْرَى، وشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَمِيعَ الأحْدَاثِ، ثُمَّ هَاجَرَ إلَى المَدِينَةِ مَعَ زَوْجَتِهِ أسْمَاءَ بِنْتَ أبِي بَكْرٍ، ومَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِأوَّلِ مَوْلُودٍ فِي الإسْلَامِ بالمَدِينَةِ، أسْمَاهُ "عَبْدَ اللهِ".

أوّلُ مَنْ أشْهَرَ سَيْفًا فِي الإسْلَامِ

عِنْدَمَا كَانَ فِي مَكَّةَ، سَمِعَ بمَقْتَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ شَاهِرًا سَيْفَهُ، وسَارَ هَائِجًا غَاضِبًا فِي شَوَارِعَ مَكَّةَ،

يُرِيدُ أنْ يَنْتَقِمَ مِنَ المُشْرِكِينَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِلَّةِ المُسْلِمِينَ فِي هَذَا الوَقْتِ، حَتَّى الْتَقَى بالرَّسُولِ ﷺ، فسَألَهُ: مَالَكَ يَا زُبَيْرُ؟

قَالَ الزُّبَيْرُ: سَمِعْتُ أنَّكَ قَدْ قُتِلْتَ

قَالَ: ومَاذَا كُنْتَ فَاعِلًا يَا زُبَيْرُ؟

قَالَ: أرَدْتُ واللهِ أنْ أسْتَعْرِضَ أهْلَ مَكَّةَ.

وهُنَا دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

حُبُّهُ للْجِهَادِ

مُنْذُ أنْ بَلَغَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ سَنَةً، بَدَأَ يُزَاحِمُ الكِبَارَ فِي الصُّفُوفِ الأوْلَى، يَتَقَدَّمُ بشَجَاعَةٍ، سَاعِيًا إلَى الاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَفِي يَوْمِ بَدْرٍ رَبَطَ عُصَابَةً صَفْرَاءَ عَلَى رَأْسِهِ، ورَاحَ يَجُولُ ويَصُولُ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ، فَنَزَلَتِ المَلَائِكَةُ عَلَيْهَا عُصَابَةٌ صَفْرَاءُ، مِثْلَ الَّتِي عَلَى الزُّبَيْرِ.

وفِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وبَعْدَ أنْ انْقَلَبَ جَيْشُ قُرَيْشٍ رَاجِعًا

إِلَى مَكَّةَ، نَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزُّبَيْرَ وأبَا بَكْرٍ لتَعَقُّبِ جَيْشَ المُشْرِكِينَ ومُطَارَدَتِه، فَقَادَ أبُو بَكْرٍ والزُّبَيْرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – سَبْعِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ قِيادَةً ذَكِيَّةً، أبْرَزَا فِيهَا قُوَّةَ جَيْشِ المُسْلِمِينَ، حَتَّى أنَّ قُرَيْشًا ظَنَّتْ أنَّهُم مُقَدَمَةً لجَيْشِ رَسُولِ اللهِ ﷺ القَادِمِ لمُطَارَدَتِهِم، فأسْرَعُوا خُطَاهُم لمكَةَ هَارِبِينَ.

ويَوْمُ الخَنْدَقِ, قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ يَأتِينَا بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟) وكَانُوا حُلَفَاءَ المُشْرِكِينَ مِنْ أهْلِ مَكَّةَ, فقَالَ الزُّبَيْرُ: أنَا يَا رَسُولَ اللهِ ولَمْ يَقُمْ غَيْرُهُ, ثُمَّ دَعَا النَّبِي ﷺ المَرَّةَ الثَّانِيَةَ والثَّالِثَةَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ غَيْرُهُ، وذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ الَّذِي أصَابَ المُسْلِمِينَ, فَذَهَبَ عَلَى فَرَسٍ, فَجَاءَهُم بالخَبَرِ, فقَالَ ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ, وحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ).

وحِينَ طَالَ حِصَارُ بَنِي قُرَيْظَةِ دُونَ أنْ يَسْتَسْلِمُوا لرَسُولِ اللهِ ﷺ، أرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزُّبَيْرَ وعَلِيِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ، وألْقَيَا بنَفْسَيْهِمَا دَاخِلَ الحِصْنِ، وبِقُوَّةِ إيمَانِهِمَا أنْزَلَا الرُّعْبَ فِي أفْئِدَةِ المُتَحَصِّنِينَ دَاخِلَهُ، وفَتَحَا للمُسْلِمِينَ أبْوابَهُ.

أبْصَرَ الزُّبَيْرُ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ مَالِكَ بْنِ عَوْفٍ "زَعِيم هَوَازِنَ" وقَائِدَ جُيُوشِ الأعْدَاءِ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَاقِفًا وَسْطَ فَيْلَقٍ مِنْ أصْحَابِهِ وجَيْشِهِ المُنْهَزِمِ، فَاقْتَحَمَ حَشْدَهُم وَحْدَهُ، وشَتَّتَ شَمْلَهُم وأزَاحَهَم عَنِ المكَانِ الَّذِي كَانُوا يَتَرَبَّصُونَ فِيهِ بِبَعْضِ المُسْلِمِينَ العَائِدِينَ مِنَ المَعْرَكَةِ.

ثُمَّ كَانَتْ مَوْقِعَةُ اليَرْمُوكِ أفْضَلَ الحُرُوبِ الَّتِي خَاضَهَا، اخْتَرَقَ صُفُوفَ الرُّومِ مَرَّتَيْنِ لِيُشَتِّتَ جَمْعَهُم، وخَرَجَ مِنْ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ سَالِمًا، إلَّا بضَرْبَتَيْنِ مِنَ الخَلْفِ، أصَابَتَا قَفَاهُ.

أمَانَتُهُ:

عَمِلَ الزُّبَيْرُ تَاجِرًا، وأصْبَحَ مِنْ أثْرِيَاءِ المُسْلِمِينَ بِفَضْلِ اللهِ وبفَضْلِ أمَانَتِهِ، وإنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وكَانَ النَّاسُ يضَعُونَ عِنْدَهُ أمْوَالَهُم ثِقَةً فِيهِ، فَكَانَ يَعْتَبِرُ هَذِهِ الأمْوَالَ دَيْنًا طَرَفَهُ ولَيْسَتْ أمَانَةً، لأنَّ الأمَانَةَ لَوْ تَلَفَتْ فِهِيَ عَلَى صَاحِبِهَا، أمَّا لَوْ كَانَتْ دَيْنًا فَهُوَ مُلْزَمٌ بِرَدِّهِ إلَى صَاحِبِهِ.

ولَيْسَتْ أمَانَتُهُ فِي التِّجَارَةِ فَقَطْ، بَلْ أيْضًا فِي نَقْلِ

الكَلِمَةِ، فَحِينَ سَأَلَهُ أحَدُ أبْنَائِهِ وقَالَ لَهُ: "مَا لِيَ لَا أسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا أسْمَعُ ابْنَ مَسْعُودٍ وفُلَانًا وفُلانًا"، فقَالَ الزُّبَيْرُ: "أمَّا إنِّي لَمْ أُفَارِقَهُ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً، وهْيَ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فلْيَتَبَوَّأَ مِقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

وأخِيرًا نَالَ الشَّهَادَةَ:

بَعْدَ اسْتِشْهَادِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ، بَايَعَ الزُّبَيْرُ وطَلْحَةُ عَلِيًّا بْنِ أبِي طَالِبٍ، ثُمَّ خَرَجَا إلَى العُمْرَةِ، ومِنْ هُنَاكَ ذَهَبَا إلَى البَصْرَةِ لِلْأخْذِ بثَأْرِ عُثْمَانَ، فَكَانَتْ مَوْقِعَةُ الجَمَلِ سَنَةَ ٣٦ هِجْرِيَّة.

وكَانَ عَلِيٌّ بْنِ أبِي طَالِبٍ فِي فَرِيقٍ، والزُّبَيْرُ وطَلْحَةُ فِي فَرِيقٍ، وبَكَى عَلِيٌّ بْنِ أبِي طَالِبٍ عِنْدَمَا رَأى السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ فِي هَوْدَجِهَا بأرْضِ المَعْرَكَةِ، فَصَاحَ بطَلْحَةَ قَائِلًا: "يَا طَلْحَةُ، أجِئْتَ بِعَرُوسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُقَاتِلُ بِهَا، وخَبَّأْتَ عَرُوسِكَ فِي البَيْتِ؟" ثُمَّ قَالَ للزُّبَيْرِ: "يَا زُبَيْرُ نَاشَدْتُكَ اللهَ، أتَذْكُرُ يَوْمَ مَرَّ بِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ونَحْنُ بِمَكَانِ كَذَا، فقَالَ لَكَ:(يَا زُبَيْرُ

أَلَا تُحِبُّ عَلِيًّا؟) فقُلْتَ: "(أَلَا أُحِبُّ ابْنَ خَالِيَ، وابْنَ عَمِّيَ، ومَنْ هُوَ عَلَىَ دِينِي؟ فقَالَ لَكَ يَا زُبَيْرَ، أمَا واللهِ لَتُقَاتِلَنَّهُ وأنْتَ ظَالِمٌ)، فقَالَ الزُّبَيْرُ: "نَعَمْ تَذَكَّرْتُ الآنَ وكُنْتُ قَدْ نَسِيتُ، واللهِ لَا أُقَاتِلَكَ".

وانْسَحَبَ الزُّبَيْرُ وطَلْحَةُ مِنَ الحَرْبِ، وتَبِعَهُمَا رَجُلَانِ: "عَمْرُو بْنُ جَرْمُوزِ" و"مَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ"، وقَتَلَ عَمْرُو الزُّبَيْرَ بالسَّيْفِ وهُوَ يُصَلِّي، ورَمَىَ مَرْوَانُ طَلْحَةَ بالسَّهْمِ.

بَكَىَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ بُكَاءً شَدِيدًا عِنْدَمَا عَلِمَ بأمْرِ مَقْتَلِهِمَا، وقَامَ بدَفْنِهِمَا وهُوَ يقُولَ: "إِنِّي أرْجُو أنْ أكُونَ أنَا وطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وعُثْمَانُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ"، ثُمَّ نَظَرَ إِلَىَ قَبْرَيْهِمَا وقَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "طَلْحَةُ والزُّبَيْرِ جَارَايَ فِي الجَنَّةِ".